المصطلح العلمي في اللسان العربي
بين صناعة الفكر وفكر الصناعة

الدكتورة سميرة رفاس[1]

الإنسان واللغة

الإنسان كائن حي، ناطق مفكر معبر اجتماعي، فضله الله على جميع مخلوقاته بحسن التفكير ودقة التعبير وقوة التدبير. فكان بذلك مدبرا أموره بنفسه معبرا عن حاجاته بنطقه، فكان هو والنطق، سواء لاغنى لأحدهما عن الآخر، فلا وجود لإنسان بدون لغة تبليغ وإيصال وتواصل، ولا وجود للغة معبرة منطوقة خارج الإنسان، فهو جسم روحه اللغة.

واللغة وسيلة تعبير وتدبير وتفكير، فهي الفكر وهو هي، فكان الإنسان مفكرا باللغة لاغيا بالفكر. ومن ثمة، كانت اللغة صانعة فكر الإنسان، ومن صنيع فكره، ومن جميع ما تقدم كانت لغة الإنسان وفكره أخوين شقيقين؛ وإذا كانت اللغة وسيلة من وسائل التفكير والتعبير معا، وكانت وسائل التعبير هذه عديدة متنوعة، تميزت لغة التعبير الإنساني بأنها أصوات، وأرقى التعابير ما كان أصواتا، والصوت نطق، ومن النطق جاء المنطق الذي هو(آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر)[2] والمنطق نطق، لقوله تعالى (علمنا منطق الطير)[3] والمقصود هنا، أي علمنا (فهم أصواته)[4] كما أن الصوت المعني هنا هو الصوت اللغوي الإنساني، المنطلق من فكر، حاملا فكرة، إلى فكر. وفي الجميع كانت اللغة والفكر أخوين رفيقي درب الحياة الإنسانية؛ يعملان معا وفيه، لتوجيهه ورفعته وتحسين تعبيره، لتحسين تدبيره وبالتعبير والتدبير كان الإنسان المخلوق خالقا لمنتوجاته، وتضاربت الآراء، في اللغة والفكر الإنساني أيهما سابق لغيره، مؤثر فيه، على ما أسلفنا. ونحن هنا، لا نقف عند هذه الإشكالية المتعلقة بتحديد الذاتيات ونتجاوزها إلى تحديد وظائف كل منهما، على أن نقف عندها في نهاية هذا المقال بعد أن تتضح الفكرة ويستقيم التفكير، وتتحد الصورة، والرؤية في الموضوع، وذلك في مفهوم العربية ومواليدها.

---

[1]- أستاذة بجامعة سيدي بلعباس/الجزائر.

[2]- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص، 257، مط، دار الندى الإسكندرية، ط1، 2004م

[3]- الآية، 16 من سورة النمل.

[4]- تفسير الجلالين (جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي) ص، 501، مكتبتا المثنى ودار إحياء العلوم بيروت لبنان.

اللغة العربية

اللغة العربية لغة الإنسانية والبشرية جمعاء، دون منازع. هي لغة الفكر والدين والدنيا، هي لغة الحياة الدنيوية، والقوانين الوضعية، والعبادات الشرعية، والمعاملات الاجتماعية. هي لغة القرآن الذي كسا العالم بظله، واحتوى كل الحضارات بلغة واحدة وحيدة، هي العربية؛ ومن هناك كان، من سمات هذه اللغة، الخصوصية والتفرد.

تنفرد العربية في خصائصها، وفي أنظمتها الصوتية، والصرفية، والتركيبية، مما جعلها تختلف عن اللغات الأخرى، وتتميز عنها وتتقدمها أيضا. كما تنماز العربية عن غيرها بكثير من الظواهر التي تفتقر إليها باقي اللغات.

علمية العربية

لقد كانت هذه اللغة ولاتزال، لغة العلوم، والاقتصاد والسياسة، والثقافة والحضارة هويتها من هوية مجتمعاتها التي تصنعها وتنميها وتطورها وتغذيها، تحيا بحياة مجتمعها الذي يختار لها مستويات التعبير والتواصل والتفاهم بها. مفرداتها في مقابل أفراد المجتمع، والتراكيب في مقابل التجمعات، والأساليب، في مقابل المجتمعات. والجميع في خدمة التواصل والتفاهم والتعامل.

يعبر الفرد الناطق، بالمفردة المنطوقة عن كائنات محيطه، تلك المفردات التي تعبر عما في محيطه بالعرف والوضع، وعن المستجدات والمبتدعات والمختلقات، بالتفكر والتدبر. مما يكسبها طابع القبول في العمل والتداول في الاستعمال لتسمى في ما بعد مصطلحات.

اللغة والاصطلاح

اللغة ظاهرة اجتماعية صوتية إنسانية؛ ذات حمولات معرفية فكرية، منتجة للمفردات، والمصطلحات مجموعة من المكونات الصوتية المعبرة عن حاجات الناطق بها الكائنات في محيطه؛ ومن ثمة، كان المصطلح صناعة إفرادية لسانية فكرية، منتظمة ومتقنة، محكمة البناء والتشكيل والمعنى؛ ولما كانت كذلك، وجب انتقاء المفردة المناسبة التي لها من الخصوصيات ما يجعلها تحمل عبء المصطلحات وحمولاتها الدلالية وتتحملها. ذلك إذا سلمنا بأن المصطلح هو بناء خاص، في سياق خاص، وله مجاله الخاص أيضا.

الاصطلاح

جاء منطوق الاصطلاح على وزن الافتعال وأصله ثلاثي (صلح) ونقله المختصون إلى هذا الميزان الصرفي، للتعبير عن الهدف المنشود من نطقه، الموحي بمعناه، وهو التآلف والتكامل والتعامل والتآزر والاتحاد وجميعها مفردات تتداخل معانيها وتتقارب

لتجتمع في مفهوم التجمع الشكلي والدلالي. وإذا كنا قدمنا في ما سبق، أن اللغة ظاهرة اجتماعية وقابلنا مكوناتها بمكونات المجتمع الناطق بها، وكان لكل فرد في مجموعته وظيفتان واحدة أساسية رئيسة خاصة به، وغيرها ثانوية فرعية موكولة إليه، والفرد ينتقل به الحال والحاجة الاجتماعية من وظيفته الخاصة به إلى الخدمة الثانوية الاجتماعية الموكولة إليه، ولما كان الأفراد متفاوتين في القدرات والإمكانات والمؤهلات، وتبعا لذلك تفاوتوا في تحمل المسؤوليات، فكذلك مفردات اللغة، تختلف وتتفاوت في شكلها ومعناها الأصليين وبحسب ما تمتلكه من قدرة على المطاوعة والتمدد والتحمل، لتنتقل وظيفتها من معناها الأصلي، (الوظيفة الأساسية) التي ظهرت بها، ونشأت عليها، في بيئتها ومحيطها إلى وظيفة جديدة اختارها لها الناطقون بها، في اتفاق يشبه الانتخاب، سموه الوضع ثم الاصطلاح.

ومعنى هذا، أن مفهوم الاصطلاح هو مدى صلاحية المفردة وقدرتها على تحمل المسؤولية الجديدة المنوطة بها، المنتقاة من أجلها. ومن هذا المنظور يصبح مفهوم الاصطلاح، هو مدي صلاح المفردة وصلاحيتها، في تحمل الوظيفة الجديدة للقيام بالمعنى الجديد، ومن ثمة، تلبس لباسا جديدا رسميا، يخالف ما كان لها من قبل من جهة، ويتصل بالقديم للتعبير عن الأصالة والحداثة معا. ومن ثمة أيضا، يكون مفهوم الاصطلاح صلاحين نطقي وفكري.

نطقيا، لأنه تشكيل جديد صالح لمعنى جديد، وفكريا لأن هذا المصطلح هو منتوج فكري تعقلي. ومن هنا، تبرز إشكالية جديدة مع المفردة الجديدة، المسماة مصطلحا؛ مفادها، تساؤلات حول من أثر في الآخر، الفكر أم اللغة؟ وبتعبير آخر نقول: إذا كان المصطلح منتوجا لغويا، واللغة ظاهرة اجتماعية فكرية، والمنتوج الجديد (المصطلح) هو فكرة جديدة معبرة عن منتوج جديد، بتعبير جديد فمن أنتج الآخر؟ هل الفكر أنتج المفردة، لتعبر عن حاجته إليها، أم أن المفردة الموجودة أصلا قبل وجود فكر الناطق بها هي التي أوجدته وأهلته، ليعبر عنها في وجوده بوجوده.

أم أن كلاً من الفكرة والمفردة، متزامنان في الوجود يعمل كل منهما في الآخر وإذا كان ذلك كذلك، كان كل من الفكر واللغة ينشئ نفسه بنفسه بما توافر إليه في محيطه، من مطالب حياة، ووسائل إنجاز. وهذا جانب من إشكالية العنوان. يقودنا إلى التفكير في صناعة المصطلح وآلياته في ما هو آت.

صناعة المصطلح

الصناعة في المفهوم اللغوي العام، هي إنتاج وإنجاز، كما هي تغيير وتحويل، تحويل في المواد وتغيير في الأشكال. واللغة في المجال المعجمي (هي ملكة نفسانية تصدر

عنها الأفعال الاختيارية من غير روية)[1] وما جاء في هذا النص، هو تأكيد لما ذهبنا إليه من قبل، وهو أن المصطلح، قد يكون مقصودا كالذي تنتجه المؤسسات العلمية المختصة وقد يكون عفويا تلقائيا ينتجه الناطقون المستعملون دون وعي منهم، حتى يتجلى للعيان والأذهان، منطوقا معبرا معتدا بمكوناته متكئا على عرشه، وهذه المصطلحات التلقائية أكثر من غيرها الاصطناعية في اللغة العربية.

ولكن طبيعة المصطلح التلقائي إنما تظهر عندما تعجز المؤسسات المختصة عن إنتاجه، وذلك حين يصاب الفكر بالكسل أو العجز، ومن هذا المنظور، يصبح المصطلح باعتباره صناعة نوعين: واحد فكري رفيع، قال فيه ابن خلدون:(إن الصنائع والعلوم إنما هي للإنسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات. فهو المصطلح مقدم لضرورته على العلوم والصنائع، وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ)[2] وإذا كان المصطلح صناعة راقية رفيعة على ما تقدم، كان صورة معبرة عن فكر الصانع وتفكيره. ويكتسب المصطلح رفعته ومكانته، من وضوح مرجعيته ومنطلقاته من جهة، ومن درجات تداوله واستعماله من جهة أخرى.

وهنا نعود بالإشارة على ما قلناه من قبل، في درجة التوظيف والاستعمال المصطلحي، حيث أن بعض المصطلحات يتسع لها مجال الاستعمال والانتشار، فتكون صالحة للاستعمال، ناجحة في وظيفتها. وبعضها يختفي قبل الظهور للحياة المجتمعية وهو ما يمكن أن نسميه هنا بالإجهاض اللغوي، وهي المفردات التي تولد ميتة، بدون وظيفة لها في حياة الناطق بها. وبدون علاقة تربطها بوالدها. وهنا تختفي الروابط والعلاقات.

في علاقات الدوال

توجد في اللغة مفردات مختلفة متفاوتة في محتوياتها، وما تعبر عنه من خفايا وخبايا، ولكن هناك خيطا رفيعا متينا يقيم الربط بين أجزائها ويوطد العلاقات بين مكوناتها. وتشكل التراكيب اللغوية في كل مستوياتها من أصوات ومفردات وتراكيب من عناصر وأجزاء، تنتهي كلها إلى محتوى فكري، له خلفية ومرجعية ومنطلق وغاية، ينتظم فيها الدال بالمدلول حول مرجعية من المرجعيات.

الدال في مفهومه اللغوي العام، ووظيفته اللغوية القصوى، هو رائد وقائد موجه إلى وجهة معينة محدودة؛ وفي مجال الدراسة اللغوية، هو الصوت المنطوق، أو الخط المكتوب، إنهما عاملان متعامدان متكافئان، مشتركان في توليد الإيحاءات الصوتية والمعاني الإفرادية، والدلالات التركيبية، والأفكار الأسلوبية. وجميعها مفاهيم اصطلاحية

1- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص، 149، مط. دار الندى، الإسكندرية، ط. 1، 2004م.
2- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة كتاب العبر، ص، 714.

تعمل متآلفة متآزرة، في إنشاء تجمع لغوي فكري، مقام على الوحدة والاتحاد، و(كما أن الألسن تتحاور ويأخذ بعضها من بعض، فكذلك المصطلحات، وكما أن اللغات تقاس بالقوة والضعف، على أساس الإبانة عن المعاني، فكذلك المصطلحات، وكما أن اللغات يكتب لها أن تعيش حينا من الدهر وبتفاوت، فكذلك المصطلحات)[1] تولد وتنمو وتعيش، وترقى وتنحط وتموت، كل ذلك مستقى من صورة المجتمع الناطق بها. وفي جهة من جهات تفكيره العام وتحقيقه الخاص.

ولسنا نعني بهذا، أن لغات التخصص هي كتلة من المصطلحات، وإنما هي مجموعة من المفردات المتميزة عن غيرها، القائمة بنفسها على نفسها في تحويل المفردة من مفهومها العام إلى مفهومها الخاص. وذلك، لأن في المفاهيم العامة مفردات مطلقة والمصطلحات مفردات مقيدة. فالمصطلح يحمل من العموم الخلفية التاريخية والثقافية والاجتماعية؛ ومن الخصوص، الدقة والوضوح والصلابة. ومن خصائص المصطلحات العربية، خلفياتها النطقية التي هي مجال الاشتقاق؛ بأقسامه وأنواعه مما نتحدث عنه في موضعه بحول الله.

المتغيرات والثوابت

من المتفق عليه، أن اللغة في حركية دائمة وتغير مستمر، تخضع دائما لتحولات الواقع ومتغيراته، ومن أسباب حركية اللغة وتغيرها، التعطش لمعرفة الآخر والانبهار به وتقليده، وحب الاطلاع على فكر مغاير. إن اللغة في اضطراب دائم، لا تكاد تستقر على حال حتى يباغتها فكر جديد بمصطلح جديد ومفهوم مغاير. مما يدفعنا إلى القول بأن ثمة غزوا لغويا تمارسه لغات البلدان المتقدمة في العالم، على لغات العالم المتأخر. وهذا الغزو اللغوي هو غزو ثقافي يعمل على تنميط الأفكار وتكييف المفاهيم الاجتماعية والعادات السلوكية والقيم الخلقية لصالح الأقوياء.

هؤلاء الأقوياء الذين يحترفون تصنيع أدواتهم، ويخترعون مصطلحاتهم، لأن (الصانع المخترع هو صانع المصطلح، وبقدر ما يحتل مخترعه المساحة بقدر ما ينتشر مصطلحه من الساحة، وكما يؤثر المخترع في نمط حياة الفرد والمجتمع كليهما، فإن أثر المصطلح مثله في مستوى اللغة واللسان. . . وعليه ننتهي إلى أن فشو اللسان العجمي وانتشاره في العالم هو من فشو مخترعه وانتشارتداوله، وليس بقوة خصائصه)[2] فالقوة قوة الفكر في التعامل مع اللغة وفي الحفاظ عليها من الزوال والضياع.

1- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص، 12، مط، الدار العربية للكتاب، 1984م.

2- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص، 12.

المصطلح تحرير وتعريف

إن حد المصطلح، عند المختصين من اللغويين، هو الصلاح والتصالح، وهو ضد الفساد، وهو مشتق من الدلالة اللغوية لجذر (صلح) وفيه وجهان الفتح والضم؛ وفي كليهما تتحول الدلالة وتتغير؛ فإذا كان صلَح (بفتح اللام) فذلك يعني أن المفردة تحافظ على مفهومها المعجمي العام، لأن الفتح دلالة طبيعية وأصلية في المفردات. في حين يدل الضم على الثبوت واللزوم والتخصيص، وعليه فإن صلُح (بضم اللام) تدل على تخصيص مفردة خاصة بمفهوم خاص، وذلك بنقلها من مفهومها المعجمي العام، إلى المفهوم الاصطلاحي الخاص. ولا يتم ذلك إلا باتفاق القوم واصطلاحهم وتواضعهم. وبمجرد أن يسمعها المتلقي في اللغة العامة يدرك أن لها مجالها الخاص، وليس هذا مكانها. كما يمكننا القول أيضا إن صلح (بفتح اللام) تعني صلاح المادة في عمومها على المعنى العام والمشترك؛ أما صلُح (بضم اللام) فتعني تخصيص المادة وثباتها على مفهوم واحد خاص لها.

ويذهب الدارسون أن هذين المصدرين (اصطلاح، ومصطلح) لم يردا في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف أو في المعجمات العربية القديمة العامة؛ ولكن، مع تكون العلوم في الحضارة الإسلامية، تخصصت دلالة كلمة (مصطلح) لتعني الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد، للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص. وسمى أكبر معجم للمصطلحات في الحضارة الإسلامية (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهاوني، وقد عرفت العرب عدة مترادفات لكلمة مصطلح نذكر منها:الحدود، والمفاتيح، والأوائل، والتعريفات، والكليات، والأسامي، والألقاب، والألفاظ والمفردات، غير أن الشيوع والبقاء كان لكلمة مصطلحات.

ومن كل ما سبق، نخلص إلى أن المصطلح هو (علامة لغوية خاصة، تقوم على ركنين أساسيين، لاسبيل إلى فصل دالها عن مدلولها المضموني، أو حدها عن مفهومها: الشكل (FORME)، أوالتسمية (DENOMINATION)، والآخر المعنى (SENS) أوالمفهوم (NOTION) أو التصور (CONCEPT)، يوحدهما التحديد أو التعريف (DEFINITION)، أي الوصف اللفظي للمتصور الذهني. وإذا كان المصطلح هو تآلف الدوال مع مدلولاتها، فإن من مفاهيمه أيضا، أنه شاهد عن غائب عن غائب؛ بمعنى أن يعبر عن صور متعددة لمفهوم واحد، كقولنا مثلا: (الباب) فمنطوق (الباب) هو حاضر شاهد بنطقه، على مفهوم الباب الذي هو تسمية لآلة خشبية، أو حديدية أو غيرهما مما هو غائب، وهذا الغائب شاهد على أصل التسمية الذي هو ثقب في موضع ما، يربط بين مجالين، وفيه قال المختصون: (هو فرجة في الحائط)[1] ومن هنا، كان المصطلح منطوقا شاهدا على غائبين. وهو الكافي المكفوف.

1- أبو منصور الثعالبي. فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. ص، 187، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

وظائف الاصطلاح

للمصطلح وظائف عديدة ومتنوعة، نذكر منها الوظيفة اللسانية التي تتعلق بمدى استيعاب اللغة للمفاهيم الجديدة، وقدرتها على خلق وإنشاء مصطلحات تحتويها وأخرى معرفية، إذ لا يمكن للعلوم أن تنهض بدون مصطلحاتها، فالمصطلحات مفاتيح العلوم، ولا نتصور علما دون جهاز مصطلحاتي. ودون أن نغفل الوظيفة التواصلية التي تتيح لذوي الاختصاص التواصل والتفاهم فيما بينهم، كما تقوم هذه العملية التواصلية على وظيفة أخرى وترتبط بها؛ هي الوظيفة الاقتصادية اللغوية التي تحقق مبدأ التقليل من الجهد المبذول في مختلف الأعمال. ويتحقق منها الاقتصاد اللغوي، شكلا ومحتوى واستعمالا، في تشكيلاته المؤلفة من مفردات قصيرة ودقيقة، وغيرها من الوظائف التي نعود إلى ذكرها عند الحاجة إليها. والجميع تنظيم عملي علمي مؤسس.

علم المصطلح

لقد تحدثنا في ما سبق، عن علاقة اللغة بالاصطلاح العلمي، وبيّنا مدى حاجة كل منهما للآخر في تحديد المفاهيم وضبط المعارف، خاصة في دائرة التحصيل العلمي ومن هنا تتبين علاقة العلم بالمصطلح. حيث أضحى للمصطلح أهله من ذوي الاختصاص؛ والذين يسخّرون من أجله كل الجهود والطاقات البشرية والمادية لتأسيسه وتوحيده وتطويره، وفي هذا النسق، يتسنى الاستدلال على هوية اللحام الرابط بين المصطلح والعلم: هو ضرب من علاقة التعاظل، بها ينصهر في الثاني بعض ما يتحلل من الأول؛ ويداخل الأول بعض ما يتراكم من الثاني، حتى لتكاد المعرفة الاصطلاحية أن تغدو هي المعرفة العلمية على المعرفة التي يتعذر معها تصور هويتين متمايزتين؛ تتدافعان أو تتجاذبان، وإنما هو توحد على نمط اتحاد الدال والمدلول في عملية الأداء اللغوي بإطلاق[1] فالمصطلحات هي التي تنهض بالعلوم وتشيد بصرحها وتضمن لها النمو والتكاثر والبقاء.

يُعرف علم المصطلح بأنه العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها، وهو علم ليس كالعلوم الأخرى المستقلة، لأنه يرتكز في مبناه ومحتواه على علوم عدة، أبرزها علوم اللغة، والمنطق، والإعلامية -علم الحاسبات الإلكترونية- وعلم الوجود، وعلم المعرفة، وحقول التخصص العلمي المختلفة[2] فهو يستفيد من كل العلوم ويخدمها جميعها. مرجعياته متعددة ومتباينة في أفكارها

1- يوسف أوغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 27 و28، منشورات الاختلاف ط1، 2008م.

2- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص، 19و20 باختصار، مكتبة غريب للنشر والتوزيع.

وتوجهاتها كون هذا العلم يستمد مفاهيمه ومفرداته من هذا الزخم المعرفي المتراكم، شأنه في ذلك شأن علوم اللغة التي تتأسس على فقه اللغة، فالأول يعتمد على التجريب، بينما الثاني على التجريد. وإذا كان علم المصطلح يقوم على التجريب فإن فقه المصطلح هو معرفة يحتويها علم المصطلح، وتؤطرها الصناعة المعجمية، في شكل صناعة مصطلحية تطبيقية وصفية خاصة وجزئية، تبتغي الممارسة المصطلحية التقنية وفق الأصول العامة لنظرية المصطلح[1] والأصل في علم المصطلح أنه معجمي مفرداتي، ينطلق من مفاهيم هذه المفردات بعد تحديدها تحديدا دقيقا، ليحاول فيما بعد أن يجد لها مصطلحاتها الدالة عليها. إذ لابد لكل مصطلح أن يحمل مفهوما معينا ويعبر عنه، ويكون خاصا به دون سواه، وإن تعددت المصطلحات للمفهوم الواحد، وجب توحيدها دفعا للغموض والالتباس. ومن هنا يكون علم المصطلح أقرب إلى المعيارية منه إلى الوصفية.

وينقسم علم المصطلح إلى قسمين: عام وخاص؛ ويتناول علم المصطلح العام: طبيعة المفاهيم وخصائصها، وعلاقاتها، ونظمها. ووصف المفاهيم، التعريف والشرح وطبيعة المصطلحات، والعلامات، والرموز، والتخصيص الدائم والواضح للرموز اللغوية وأنماط الكلمات والمصطلحات، ومعجمات المصطلحات، وتوحيد المفاهيم والمصطلحات، ومفاتيح المصطلحات الدولية، وتدوين المصطلحات، ومعجمات المصطلحات. . . ولذا فهذه الموضوعات من علم المصطلح العام. أما علم المصطلح الخاص، فيتضمن تلك القواعد، الخاصة بالمصطلحات في لغة مفردة[2] يصنعها أهلها المختصون بها القائمون عليها.

صناعة المصطلح

الصناعة مفهوم يوحي بالإنتاج الموجه المؤهل صاحبه إلى إنتاجه، ومن ثمة فهو صنفان: واحد ينتجه الصانع المتخصص المؤهل، حتى ليمكن تحديد تاريخ ظهوره والحاجة إليه، كالذي ينتج عن المؤسسات العلمية المخصصة المؤهلة لذلك، كالمجامع العلمية وآخر شبه طبيعي ينتجه المجتمع بالاتفاق غير المعلن بين أفراده، وإنما يدركه المستعمل في مجال التعبير عن حاجته بعد ظهوره واكتماله. والصناعتان معا من صنيع المجتمع، والذي يهمنا هنا هو المصنوع بالاتفاق والوضع المعلن من هيئة مختصة، وهذا ما يعرف بالصناعة.

إن القول بصناعة المصطلح يعني أن يخترع المختص المؤهل مفردة جديدة لمفهوم جديد، وهو ما يسمى بالوضع والتوليد، وفيه تنتقل المفردة من مفهومها العام إلى مفهوم خاص؛ على ما تقدم ذكره مع مراعاة مجموعة من القوانين والمعايير، منها المعجمية

1- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص، 51

2- نفسه.

والدلالية، والمورفولوجية، والفقهلغوية، والتداولية، مما يدل على أن عملية وضع المصطلح ليست سهلة ولا بسيطة، وإنما هي عملية دقيقة ومعقدة؛ تتجاذبها عوامل تاريخية واجتماعية ولغوية، وأخرى فلسفية علمية، وكلها تقوم على حاجات الإنسان، لأن صانع المصطلح ينبغي أن يكون متمكنا من اللغة، ومفاهيمها، ومحيطا بتاريخ مفرداتها وتطورها ومسايرا للنشاط العلمي المعاصر، بحيث يجمع في اصطلاحه بين الأصيل والمعاصر؛ فينتج مصطلحا أصيلا، في مفاهيمه، ومعاصرا في شكله المادي وتناسق أجزائه.

الحاجة إلى الإنتاج وغاياته

المصطلح نتاج إنساني، دعت إليه حاجة المجتمع المتنوعة المختلفة المتقاطعة المتعامدة في حين؛ ومما يستدعي الانتباه والحيرة معا، أن الإنسان يتغير في كل حين ويغير حياته في كل حين، ويختلق لها لوازمها في كل حين، ويجدد فيها ويميت منها بعض مختلقاته في كل حين؛ ولكننا نحن الأحياء، لا ندركها في حال تغيرها تطورا أو انقراضا. وإذا كان لكل منتوج لابد من تعريف، بالتسمية، أو الوصف، أو هما معا؛ بالتفرد، أو التجمع، كان ذلك هو المصطلح عينه.

إن المصطلح تعبير صوتي لمنطوق فكري، من أجل تحديد ذاتي. والإنسان الخالق لذلك، تختلف قدراته ومؤهلاته في الصناعة والإنتاج، ولكنه خالق في كل وقت وحال إما بالإنشاء والاختراع من لاشيء من جهة؛ أو بتجديد المصنوع بإعادة إنتاجه، بتغيير وتبديل، أو التحويل في شكله من جهة أخرى. وإذا كان المصطلح تعيينا وتحديدا لكائن مجهول، كان لذلك طرائق وتقنيات، وفي تعريف الاسم الذي هو مصطلح قال ابن مالك:

(ومنه منقول كفضل وأسد ** وذو ارتجال كسعاد وأدد)[1]

تظهر في هذا النص، طريقة إنتاج المصطلحات وتقنياتها، إما بنقل الصورة والتصور من كائن قديم معروف، إلى كائن مختلق جديد، تحقيقا لخلفية فكرية أو ثقافية، أو غيرهما. أو ارتجال أي ابتداع وإنشاء جديد، لكن تلك الجدة لها خلفية في فكر الصانع، ففي قوله: (سعاد وأدد) فلكل منهما صورة وتصور في فكر الناطق العربي، إذ ليس منطوق (سعاد) غريبا عن الإنسان العربي في شكله ووزنه وإيحاءته، قبل أن يظهر في اسم إنسان.

وإذا كان المنتج في حاجة إلى تسمية ما ينتجه، فكذلك المنتوج في حاجة إلى انتزاع تسميته من منتجه، ليتخذ بذلك مكانه ومكانته بين الموجودات، وإلى ذلك أشار ابن عاشر في قوله: (حاجة كل محدث للصانع)[2] أي أن كل مصنوع لا يحقق وجوده إلا بعد أن

1- جمال الدين محمد بن مالك، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، إعداد، عبد الحميد رشواني، ص. 17. دمشق، ط، 1، 1996م.

2- المجموع الكامل للمتون، نشرة جديدة منقحة، مط، دار المعرفة، الدار البيضاء، ص، 466 نظم عبد الواحد ابن عاشر. وتمام البيت (وجوده له دليل قاطع حاجة كل محدث للصانع).

يخصصه صانعه بتعريف يميزه عن غيره، ويحدد له قيمته في ذاته، ومكانه ومكانته في محيطه، تلك بعض دواعي إنتاج المصطلح وغاياته.

وإذا سلمنا بأن للمصطلح خلفية فلسفية وجودية، قلنا إن الإنسان قد استمد إلهامه من عناصر هذا الكون و موجوداته؛ فكان أن اخترع الطائرة على هيئة طائر مثلا مستعينا ببعض الوسائل، واصطلح عليها بالطائرة، وهي تسمية قريبة من مصدر إلهامه، مما يدل أيضا على أن المصطلحات حتى وإن تولدت من التلقائية العملية الاستعمالية العدمية فإن لها أصولها المعرفية والفكرية والإنسانية والوجودية.

لقد عنى الباحثون بصناعة المصطلح وتوحيده، وكرسوا له جهودهم المادية والمعنوية، من خلال إنشائهم للمجامع اللغوية، وكان همهم الأوحد ولا يزال، هو توحيد المصطلحات الدالة على ذات المفهوم، لتسهيل التواصل بين المتخصصين، وتوضيح وتحديد الجهاز المفاهيمي للعلوم، وتخليص الفكر العربي من الغموض. ومن هنا، احتاج المنتجون المختصون إلى وسائل خاصة لإنتاج المصطلحات الخاصة.

خلفيات وغايات

لقد لجأ الباحثون إلى مجموعة من الوسائل والآليات، لتوليد مصطلحات جديدة تتلاءم مع المستجدات المعاصرة للعلوم المختلفة، في شتى مجالات الحياة وميادينها، خاصة وأن العربية في بعض مواضعها بدت مستعصية عن استيعاب المدلولات المستحدثة، ولكن أهلها، استمدوا الآليات الاصطلاحية من ظواهرها اللغوية، فكان علاجها منها وإليها.

لقد كانت آليات المنتجين نوعين:تصورية نظرية، وعملية تطبيقية وأول الوسائل التصورية هو مرجعية الاختراع، وعلاقتها بالتراث العلمي والثقافي والفكري واللغوي وكمثال على ذلك مصطلح (الكاظمة) (ترموسطا)، وهذا مصطلح فني، مهني اصطناعي، أنتجته جماعة مختصة في هيئة مختصة لمعنى مختص، ذو مرجعية لغوية ثقافية عملية توظيفية متخصصة.

إن لفظة (كظم) تعني في معناها العام، إخفاء الشيء، وجاء في لسان العرب: (كظم الرجل غيظه إذا اجترعه)[1] وجاء في التنزيل (والكاظمين الغيظ)[2] أي (الكافّين عن إمضائه مع القدرة)[3] وفي مجموع المعنى ومجمله، هو إخفاء واقع. وفي الجميع مرجعية لغوية معجمية كالذي نجده في معجم (لسان العرب) مثلا، أو ثقافية دينية كالذي جاء به القرآن الكريم، مع وسائل مساعدة إيضاحية كتفسير الجلالين والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن

1- ابن منظور لسان العرب، ج، 12، ص، 519، ع، 2، س، 21، مط، دار صادر بيروت.
2- الآية، 124، من سورة. آل عمران.
3- تفسير الجلالين (السيوطي، والمحلي، ص، 89، مط، المثنى بيروت، ودار إحياء العلوم بيروت، د. ت).

الكريم[1]، هذه الوسائل كلها هي أدوات اطمئنان في خلق المصطلح، يبقى بعد كل هذا، شيء مهم وهو، مدى تقبل المستعملين للمنطوق الجديد. ونقول: يجب بعد كل هذا مراعاة مدى قبول المولود الجديد، وتقبله في مجال الاستعمال. ولنضرب لذلك أمثلة من واقع العربية والعرب.

للعرب مؤسسات ومجامع توجه وتقوم وتقيم وتنتج المفردات، وهي معتمدة مخولة في إنتاج المصطلحات، ولكنها تنجح في ذلك مرة وتفشل مرات، ومردّ ذلك كله إلى مدى مراعاة قواعد الإنتاج وضوابطه، وقوانينه التي أوردناها من قبل. ولنسق لذلك أمثلة ثلاثة لمفردات أجنبية مستوردة، مستعملة في الحياة العربية وهي:

آلة حفظ واحتفاظ للحرارة والبرودة المسماة في اللغة الأجنبية (THERMO) إن هذا المنطوق، هو لآلة، تملأ بالبارد أو الساخن، فتحتفظ بحرارة ما يوضع فيها لمدة أربع وعشرين ساعة في المعدل العام. ومن ثمة، فهي تخفي سر ما يوضع بداخلها مع غليانه كالإنسان الذي يخفي الغضب في جوفه. وكان في العربية منطوق بهذا المعنى، جاء به القرآن الكريم (الكاظمين الغيظ) فشبّه أعضاء المجمع العلمي، هذه الآلة بالإنسان الكاظم لما يغلي بداخله. ولكن مع مطابقتها لمعايير الإنتاج الاصطلاحي لم تقم بوظيفتها الاصطلاحية على ما ينبغي وذلك من وجهين. أولهما لأن مجال توظيفها ضيق في الحياة الاجتماعية العربية، وثانيهما عدم إشهار المصطلح عند صناعته، وقد نجم عن هذه الحال ظاهرتان سلبيتان؛ الأولى قلة الاستعمال، والثانية ضيق مجال الاستعمال.

وقلة الاستعمال راجعة للحالة الاجتماعية، في ضيق مجال الاستعمال، وهو سوء فهم الوظيفة؛ وذلك لأن أكثر ممن يستعمل الكاظمة لايملؤها إلا بالساخن كالقهوة والشاي، في حالات البرد، ولا يملؤها بالبارد كالمشروبات الغازية في زمان الصيف، فلم نر على شاطئ البحر من بجانبه كاظمة فيها مشروبات باردة، وذلك لجهل المستعملين بالوظيفة المتنوعة للكاظمة.

والمصطلح الثاني، المصنوع في مجمع اللغة العربية، هو (PIANO) وهو آلة موسيقية معروفة، وقد اختار لها مجمع اللغة العربية بالقاهرة لفظة (الفقنص) وقالوا في تعليل الاختراع (أو براءته) يوجد في القصص العربي، حديث عن طائر له ستون رِجلا، وفي كل رجل ستون أصبعا، وهكذا؛ فشبهوا خيوط البيانو المتعددة، بأرجل هذا الطائر الخيالي الغريب، فضحك المستعملون من تعريب المجمع، وتركوا المصطلح جانبا، واستعملوا مفردة(بيانو) بمنطوقها الأجنبي، فصارت اللفظة الأجنبية عربية بقوة الاستعمال.

ويبقى المصطلح الثالث وهو (SANDWICH) ومعنى هذه المفردة، هي مأكول خفيف، أصل التسمية نسبة إلى مقامر، كان يتناول وجبات خفيفة حتى لا يترك اللعب ففكر

1- المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص، 605، مط، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط، 1228. 1. هج.

أعضاء مجمع اللغة العربية في اختراع مصطلح له، فعبروا عنه بما فيه، وهو خبز مشقوق، بداخله لحمة أو زبدة أوغيرهما مما يؤكل على عجل، فقالوا فيه (شاطر ومشطور وما بينهما كرخ)، فضحك المستعملون العرب من هذه التسمية، وتجنبوا النطق بها، وأبقوا على المنطوق الأجنبي (ساندويتش) ومرد ذلك، عدم مراعاة الخلفية الاجتماعية والعملية العربية، للمنطوق الجديد. ونستخلص من كل ما سبق، أن بقاء المصطلح مشروط بقوته وقدرته على استيعاب المفاهيم بدقة وحسن إبانة واعتدال، فيجتمع فيه الجمع والمنع معا لأن المصطلح فضلا عن كونه حمولة معرفية مفاهيمية، هو علامة من علامات تطور الإنسان، تاريخيا وفكريا وعلميا. ومن علامات السير والمسايرة للحياة الاجتماعية، في الجانب اللغوي، هو استمرار التجديد والتوليد لما هو قابل متقبل لذلك.

ومما ينبغي التنبيه عليه، في مجال التوليد والتجديد، أن أي مصطلح دخيل مستحدث على الفكر، لا يمكن تقبله دفعة واحدة، وإنما يتم استيعابه ببطء، وعلى فترات، فما تداول استعماله بقي وعاش، و ما أهملوه زال واندثر، ويلخصها عبد السلام المسدي في ثلاثة مراحل هي: مرحلة التقبل، ومرحلة التفجير، ومرحلة التجريد[1] بما يعرف بالاشتقاق.

الاشتقاق

الاشتقاق منطوق توحي تشكيلته الصوتية بالتجزئة والتوزيع لما هو كائن، وهو عند اللغويين (نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا، ومغايرتهما في الصيغة)[2] ويظهر في هذا التعريف، الاهتمام بالشكل والتشكيل، وتوسع فيه غير السابق بقوله: (الاشتقاق هو أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام، وفي الخصومة يمينا وشمالا، وفي الاصطلاح هو اقتطاع فرع من أصل، يدور في تصاريف حروف ذلك الأصل)[3] وفي التعريف الثاني تنويع وتفصيل، ومع ذلك، لم نجد فيه مبتغانا.

إن الذي نريده ونسعى إلى تحقيقه، عند الحديث عن الاشتقاق، هو وظيفته اللغوية الأصلية الأساسية، وهي قدرته على التجديد والتوليد في إنماء اللغة وتنميتها، وما نعتمده من هذا النص، قوله: (أصل يدور في تصاريف الفعل) ففي هذا يتحدد مجال الاستعمال، إذ أن الاشتقاق أنواع، أشهرها صنفان، قال ابن جني فيها: (الاشتقاق عندي على ضربين:كبير وصغير. . . فالصغير ما عند الناس وكتبهم. . . وأما الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه ولتقاليبه الستة معنى واحدا)[4] صغير وكبير وكان من قبل قال صغير

---

[1]- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص، 51.

2- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص، 116، مط، قصر الكتاب، الجزائر.

3- أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ج، 1، ص، 179، ع، 1، تح، عدنان درويش، ومحمد المصري، مط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق. ط، 1، 1982م.

4- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج، 2، صص. 133و124 باختصار. تح، محمد علي النجار، مط، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط، 1، 1952م

وأكبر على ما جاء به ابن جني. والمفيد منهما في مجال المصطلحات ذلك الذي يتحرك في تشكيل دائري، مقام على عدد أصوات المفردة الحدثية المتولد منها صيغ متنوعة مختلفة باختلاف أصل التوليد.

ولما كانت الصيغة الحدثية (الفعلية) لا تقل عند الصرفيين عن ثلاثة عناصر ولا تزيد على خمسة[1] كان الاشتقاق مرتبطا بعدد المكونات، متحركا في مجالها، وأقرب ما يوصف به الاشتقاق، من حيث التوظيف، أنه تنويع الأشكال لتلوين المعاني. ومن هذه العبارة شبه التعريفية، ننطلق لتحديد وظائف الاشتقاق الاصطلاحية. ونقول الاصطلاحية لأن في ما يعرف بدوائر التوليد الأساسية الست التي سنقف عندها، هو تحريك عناصر الإفراد في محوري الاستبدال والتركيب اللساني، لتوليد مفردات خاصة لمعان خاصة في مجال مخصوص.

خلفيات التعبير

اللغة أصوات[2] والصوت مدرك سمعي باتفاق"[3] وفي الصوت إيحاء بالمعاني النوعية المخفية في المباني المختلفة التنويعية، ومن المعلوم، أن كل اختلاف في المبنى يؤدي إلى اختلاف في المعنى. ومن هذه المنطلقات اللغوية، نتوقع في الاشتقاق تنويعا وتجديدا في المشتقات، ولما كانت مواليد الاشتقاق خاضعة لحاجات وظروف مكانية وزمانية، نتوقع أن نجد لذلك أثرا في المشتقات تلميحا أو تصريحا. ولمتابعة ذلك نقترح تشكيلة صوتية إفرادية، نديرها بحسب قوانين الاشتقاق وضوابطه، ومعطياته وخلفياته.

تقوم العملية الاشتقاقية على تدوير مكونات الصيغة الإفرادية، المسمى (تقليبات) وتحتوي كل تشكيلة، على عناصر معدودة، تسمى المكونات، وقد اختلف الصرفيون في عددها، والأقرب للاتفاق أنها ثلاثة[4]. وكل تشكيلة ثلاثية العناصر، يتولد منها ست مفردات جديدة، تحتفظ كل مفردة بالذوات، وتتنازل عن الموقعيات. ولنسق لذلك مثالا نظهر فيه ما جاء به اللغويون وما نتوقعه منهم. ولتكن صيغة (كتب) مجال تطبيق.

---

[1]- هذا عند القدماء، أما عند المحدثين فقد بلغت مكونات الصيغة أربعة عشر عنصرا. ينظر تفصيل القول في هذا عند مكي درار ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، ص، 31 وما بعدها، مط. دار أم الكتاب، بوقيراط الجزائر، ط، 1، 212م.

2- ابن جني الخصائص، ج1، ص، 34.

3- مكي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، ص، 4، مط. دار أم الكتالب بوقيراط، الجزائر، ط، 1، 2013م.

4- هناك من يقول بالثنائية في أصل المفردة العربية، يقول هؤلاء: أصل المفردة صوتان، وإنما جيء بالثالث لتمييز المعنى وتخصيصه، يقولون في (قطع وقطف وقصف) مثلا. الأصل في الجمع القاف ولاحقه، والمعني في الجميع هو الإزالة، وجئ بالصوت الثالث، ليميز نوعية الإزالة ينظر في هذا: تهذيب المقدمة اللغوية أسعد أحمد علي، ص، 98. والعربية الفصحي، هنري فليش، ص، 103. ورياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، (لبنان في القرن التاسع عشر) ج، 2، ص، 78

صيغة (كتب)

اخترنا هذه الصيغة، لوضوحها، وشيوعها، وسهولة نطقها، وقرب معناها، عند جميع الناطقين بالعربية، وهي ثلاثية العناصر، باتفاق الجميع. مفتوحة العين (الوسط) عند الجميع، متتالية الفتحات باتفاق الجميع، ومن ثمة، فهي صيغة عربية يغلب عليها طابع التثليث.

وعند التقليب، نقوم بعملية تقديم وتأخير للعناصر، مراعين في ذلك رتب العناصر في مرجعيتها العربية، وفي ذلك ثنائيات أيضا، أبجدية وهجائية في الترتيب، وفي ترتيب كل منهما ثنائية أيضا، مشرقية ومغاربية في التنظيم والترقيم. ولنعتمد الترتيب الهجائي، لأنه معروف الانتساب من حيث الزمان والمكان والوظيفة.[1] والذي نقف عنده، هو خلفيات الترتيب، عند التقليب والتوليد، وهو ما لم نجده عند الدارسين العرب المهتمين بالاشتقاق على الخصوص. وهنا نرتب صيغة (كتب) على المنوال الآتي (بتك، بكت) و(تبك تكب) و(كبت كتب).

هنا ثلاث مجموعات، في كل مجموعة صيغتان مرتبتان بحسب تنظيمهما الهجائي الأولى بالباء، والثانية بالتاء، والثالثة بالكاف، وإلى هنا يظهر الأمر أنه عملية تنظيم شكلية، لكن لنسأل عن عدد الصيغ المولدة المستعملة، وعن عدد المعاني المستخرجة وعن عدد الصيغ المتبقية المخفية، ومعانيها المهملة، ثم الفائدة والغاية من كل ذلك.

إذا عدنا بالنظر إلى عدد المباني المستعملة، وجدناها ثلاثة، من ست وهي: (بتك، كبت، كتب) وتقدر قيمة الاستعمال، بخمسين (50) بالمائة، وهنا نقول: نصف الصيغة مستعمل، ونصفها مهمل. وهنا أيضا نستنتج شيئين: أولهما قدرة العربية على التوليد والتجديد، وثانيهما، غنى العربية بالمفردات، بما لها من مستعمل ومهمل. وتبقى آخر الملاحظات المهمة وهي: ما قيمة الترتيب الصوتي، وما مكانة المهمل؟ وفي الجواب عن هذا نقول:

الترتيب يعطينا تاريخ الظهور والاستعمال، ومنه نفهم وظيفة التوليد والاشتقاق. وبالنظر إلى الصيغ الست نجد أولها (بتك) وآخرها (كتب) وبشيء من التدقيق في شكل الصيغتين، نجد الأخيرة عكس الأولى في الترتيب. ومعنى هذا، أن صيغة (بتك) أقدم في

1- يعود الترتيب الهجائي العربي، إلى منتصف القرن الثاني هجري وصاحباه هما: يحي بن يعمر، ونصر بن عاصم بأمر من الحجاج في ولايته على العراق. ما بين 95/75 هجرية. ينظر، الفهرست ابن النديم ج، 1، ص، 89، وأنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي جـ 1، ص، 48 والناش في فني النحو والصرف صاحب حماة، ج، 1، ص، 114، والكافية الكبرى، في علم النحو، للأسعربدي، ص. 33. والمدارس النحوية شوقي ضيف، ص. 11 وما بعدها.

الظهور من صيغة (كتب) وفي المعنى المعجمي، لكل منهما نجدهما (في الشكل) مشتركتين في عدد العناصر وأنواعها. وفي المحتوى مشتركتين في وضع العلامة والحفظ والاحتفاظ.

جاء معنى (بتك) في القرآن الكريم في وظيفة حفظ الشيء والاحتفاظ به وذلك في قوله تعالى (فليبتكن[1] آذان الأنعام)[2] والآية هنا تشير إلى عادة عربية هي قطع آذان الحيوان لتمييزها عن غيرها، حتى يمكن انتسابها لمالكيها، والاحتفاظ بها. وفي (كتب) معنى الاحتفاظ بالمعاني والدلالات لمنتجيها، ابتغاء الاحتفاظ بها، (وحقوق الطبع محفوظة لصاحبها). وننتهي إلى خلاصة أولية هنا وهي، أن صيغة (بتك) أصلية متقدمة زمانا لأنها مبدوءة بالباء، ومن بعدها التاء وهو ترتيب طبيعي أصلي في العربية. وصيغة (كتب) فرعية مولدة منها وجاءت عليها؛ ويبقى السؤال المطروح وهو ما قيمة المهمل وما مصيره؟ نحن قمنا بعملنا ورتبنا واستخلصنا وخلصنا إلى ما يفيدنا، فماذا نفعل بما ليست له وظيفة عملية في زماننا. وفي الجواب عن هذا نقول:

رأينا من قبل أن صيغة (بتك) متقدمة عن (كتب) والمستعمل الفرعي شائع في الحياة اليومية من المستعمل الأصلي. وهنا نعود بالتذكير إلى ما قلناه من قبل، وهو أن المفردة الاصطلاحية تحيا بالاستعمال، وتنقرض بالإهمال، ويصبح مفهوم المهمل ليس هو المنطوق، وإنما هو موضوع الاستعمال.

وشيء ثان أهم وهو توظيف المهمل في ما يجدّ من الحياة اليومية والحاجات الاجتماعية بحيث يصبح (المهمل) خزينة إمداد في الاستعمال. وهنا نعود إلى المعنى الأصلي العام للمفردة (بتك) الذي هو الحفظ والاحتفاظ. وهنا نقول عندنا آلات جديدة تنتمي وظيفتها إلى هذا المجال. ومن ذلك، آلة (الكومبيوتر) مثلا فقد سماه العرب: (الحاسوب) وكأنه في فكرهم وتفكيرهم آلة حسابية وكفى مع أنه فوق ذلك بكثير، إنه خزان عظيم، وحافظ لكل ما يوضع فيه ومحتفظ به. فهو (كابت وكاتب) ومن هنا، نقترح أن نشتق له مفردة في مخزوننا العربي، ليست لها وظيفة حتى الآن ونسميه (التاكب) لاشتراكه مع غيره في وظيفتي الحفظ والاحتفاظ. ومن هنا نكون وظفنا مخزوننا وقمنا بعمليتي التوليد والتنمية والتوظيف في العربية.

ومثل صيغة (كتب) صيغة (كلم) مثلا ففيها عند التقليب ست صيغ، هي (كلم كمل) و(لكم لمك) و(مكل ملك) والخلاصة المستوحاة من معاني جميع الصيغ هي بداية المباني (كلام) ووسطه (لكم) ونهايتها (ملك) فالطالب لحقه من غيره، عليه أولا أن يتكلم، وبعدها يلكم، وإذا تكلم أولا، ثم لكم ثانيا، فسيملك في المرحلة الثالثة.

وتبقى بعد هذا، نماذج من المصطلحات والاصطلاحات، وقضايا مهمة خطيرة في علاقة الفكر باللغة واللغو، وعلاقة اللغة بالفكر والتفكير، في من السابق منهما للآخر، ومن

1- لبتكن (بقطعن) تفسير الجلالين ص، 129.
2- الآية، 119 من سورة النساء.

منهما مؤثر أو متأثر بالآخر، ويمكن تلخيص ذلك كله في ما سبق جميعه وهو أن كل من اللغة والفكر متحدان متآزران في مجال الصناعة والتصنيع.

الفكر ينمو في خضم جزء من اللغة الاجتماعية، فهي صانعته، لأن اللغة أصوات، والأصم الذي لايدرك الأصوات، لا ينمو فكره ولا يتنوع تفكيره، والتفكير الاجتماعي يكون بلغة المجتمع الناطق بها، المعبر عن حاجاته إليها؛ وبقدر نموها وسعة مجال التعبير بها وتوظيفها، يتسع فكره وتفكيره في ما يحيط به وكلما اتسع تعبيره توسع تفكيره، وامتد إدراكه إلى ما يحيط به في الكون، وقديما قالوا: كل لسان بإنسان.

وفي الأخير نقول: إن المصطلح من صنع الفكر، أداته اللغة، ومحركه هو العلم واضعه هو المجتمع، والرقيب عليه والغاية منه هي حاجة الإنسان إليه، فالفكر والاصطلاح أخوان رفيقا الإنسان في إنسانيته.

وتبقى أخيرا مجالات لتوسيع التعبير وتنويعه، وإثراء اللغة أهمها مجالان هما: التعريب والترجمة، ونقف دون الحديث عنهما، لمراعاة المساحة المخصصة لهذا المقال، ونعد المتابعين لحديثنا، عن إتمام ما بقي من عناصر التوليد اللغوي اصطلاحي، إن بقي في العمر باق؛ وفي مجال الحديث مساحة.